تسوّق بلا خسائر

محمد بن عبد الله الحمود

مصدر هذه المادة :



دار ابن خزيمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحـده والصـلاة والسـلام على من لا نبي بعده، وبعد:

لا شك أن الســوق تجمع مشــروع أقيم لرعاية مصــالح العبــاد من الــبيع والشــراء وقضاء الحوائج المتعلقة بهما، ولا شك أيضًا أنه لا يخلو من الفتن والمغريــــــــــات.. والملهيـــات والشـــطحات.. لأنه مضـــمار الســباق على الــدنيا.. ولــذلك كــان أبغض الأماكن إلى الله في الأرض، يقــول رسـول الله ﷺ: «**أحب البلاد إلى الله مســــاجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها**». [رواه مسلم]، ولئن كـان هـذا الحـــديث للأســـواق عامة فهو ولا شك للأسواق المختلطة من بــاب أولى؛ لما فيها من المنكــرات والفتن؛ فهي أمـــاكن تجمع شياطين الإنس والجن، وهي مواطن ارتيــاد الـــذئاب البشـــرية ومرتع خصب لضـــعاف النفوس الذين لا هم لهم سوى إيقاع نســاء المســلمين في شــرك الرذيلــة، والتعــرض لهن بجميع الأســـاليب الشـــيطانية واللا أخلاقية.

إن المـرأة تخـرج من بيتها إلى الأسـواق

بدينها وعفافها وحيائها ولا تعـرف حين ترجع ماذا سقط منه، وماذا بقي منه؟

إنها تخرج إلى مكـان يعج بـالفتن ويمـوج بالمحن، والشيطان ناصب رايته فيه.

أختي المسلمة:

ومن هنا كـان التسـوق المحمـود هو ما روعيت فيه الآداب الشـرعية الواجبة على المرأة خـارج بيتهـا، ولئن كـان مطلوبًا منك الحرص على تلك الآداب عمومًا، إلا أنها في الأسـواق تكـون أشد طلبًا من غيرها من الأماكن لا سـيما أسـواق هـذا العصـر! فـإذا كان ولابد من الـذهاب إلى الأسـواق لحاجة ملحة وضـرورة قاطعة فلا بـأس بـذلك إن شاء الله؛ على أن يكون خروجكِ مشـروطًا بجملة من الآداب منها:

1- ضرورة الاستئذان من ولي أمرك عند الخروج سواء والديك أو زوجك أو أخـوك أو من يقوم مقامهما.

2- احرصي جـدًا على أن يصـحبك أحد محارمك إلى السوق إما زوجك أو أخوك أو غيرهما من المحـارم وعـوديهم على ذلك تقـديرًا لك وحفاظًا عليك من الـذئاب البشـرية وضـعاف النفـوس المتربصـين

بالنساء سوءًا وإن تعذر خروج أحد محارمك معك فليكن معك امرأة أخرى تجنبًا للخلـوة مع البـائعين وابتعـادًا عن الفتنة والافتتـان، وحـاولي جهـدك أن لا تـذهبي وحـدك أبـدًا، حـــتى ولو اضــــطررت إلى تأجيل بعض احتياجاتك لـوقت آخـر؛ فـإن ذلك أحفظ لك وأصــون لــدينك وعرضــك، وإن كــان أحد محارمك كــالزوج أو الأخ أو الأب أو غيرهما له معرفة بالأســواق يســتطيع شـــراء ما تحتاجين ويكفيك هم الخـروج فاحمـدي الله على ذلك والزمي بيتك، إلا في حاجة خاصة تستلزم خروجك لها.

3- احـذري الركـوب مع السـائق وحـدك سواء سـائق العائلة أو غـيره فـإن ذلك من الخلوة المحرمة التي نهى عنها رسـول الله حيث يقـول: **«لا يخلـون رجل بـامرأة إلا كـــان الشـــيطان ثالثهما»**. [رواه الترمـذي]، إلا أن يكـون معك امـرأة أخـرى ولم يكن هناك ريبة.

4- تجنــبي التــبرج والســفور والخــروج بملابس جميلة فاتنة واحـذري النقـاب؛ فإنه فتنة، وأي فتنـة، وإن كـان ولا بد منه فليكن ضيقاً جدًا وعلى قدر العينين فقط، ولا يكن

واسـعًا يظهر الخـدود وما حـول العيـنين، ويفضل أن يكون عليه غطـاء خفيف لا يُرفع إلا عند الحاجة إلى النظر إلى السلعة الـتي تريدين رؤيتها وفحصها.

5- لا تتعطـــري أبـــدًا وأنت ذاهبة إلى أماكن فيها رجـال سـواء الأسـواق أو غيرها ولا تلبسي ملابس يكـــــون فيها بقايا من روائح عطـور أو بخـور؛ فـإن ذلك حـرام لا يجوز، وورد فيه وعيد شـديد؛ يقـول رسـول الله ﷺ: «**أيما امرأة اسـتعطرت فمـرت بالرجـال ليجـدوا ريحها فهي زانية**». [رواه الـدارمي والحـاكم وصـححه ووافقه الذهبي].

6- تجنبي الخضوع بالقول وترقيق الكلام مع البـائع وغـيره: ﴿**فَلَا تَخْضَعْنَ بِـالْقَوْلِ فَيَطْمَـعَ الَّذِي فِي قَلْبِـهِ مَـرَضٌ وَقُلْنَ قَـوْلًا مَعْرُوفًا**﴾، وتجنـبي أيضًـا النقـاش الزائـد الـذي لا صـلة لـه بـالبيع والشـراء، وتكلمي مع البائع بإيجاز وبما يكفي لحاجتك فقـــط، ولا تطيلي المفاضـــلة بالســـعر وتستجدي البـائع وتتـودي إليـه بكلام طويـل من أجل تخفيض بضع دريهمـات لا تسـتحق كل هذا التودد والتذلل.

أصون عرضي بمالي لا
لا بارك الله بعد العرض

وليكن كلامك مع البائع ظاهره الجد؛ لئلا يعطي ذلك مجـالاً لـه أن يتجـاوز حـدود البيع والشراء.

يا قوم أذني لبعض الحي
والأذن تعشق قبل العين

7- حـــددي ما تريـــدين شـــراءه قبل أن تخـرجي إلى السـوق واحرصي على شـراء حوائجك الــتي تريـــدينها مــرة واحـــدة لئلا تضــطرين إلى العــودة إلى الســوق مــرة أخرى في وقت قريب.

8- تفقـــدي حجابك وأنت تســـيرين في الســـــــوق وتنتقلي بين المحلات أو وأنت تتفقدين السـلع؛ لئلا يظهر شـيئًا من وجهك أو عنقك أو شـعرك أو ذراعيـك؛ فـإن بعض النـــاس تغفل عن ذلك كثـــيرًا ولا تتنبه له فيظهر شــيئًا من جســمها للرجــال وهي لا تـــدري، واحرصي على عـــدم فتح العبـــاءة وإصـــلاحها أمـــام الباعة أو المـــارة فيظهر بعض جسمك وأنت لا تشعرين.

9- احـذري الاقـتراب من الرجـال داخل

المحلات ولا تـــــدخلي محلاً تكـــــوني أنت الزبونة الوحيــدة فيــه؛ فــإن ذلك أبعد عن الفتنة وأحفظ لدينك وعرضكِ.

10- لا تُلقي بـــــالاً لمن يلقي إليك كلمة إعجاب أو مدح أو نكتة، وسـارعي إلى إبلاغ رجال الهيئة بالسوق، أو ارفعي صوتك عليه منكرة عمله هـذا لئلا يتمـادى إلى أكـثر من ذلك.

11- حـاولي الابتعـاد عن أمـاكن الزحـام والممـــرات الضـــيقة في المحل أو خارجه واحرصي على عـدم الانحنـاء على طـاولات العـرض أو الانحنـاء لتفقد السـلع فـإن ذلك يـــبرز مفاتنك من الخلف يجســـمها فلربما أغرى ذلك ضعيف نفس بالاعتداء عليك.

12- عند تفقــدك لمقاســات الملابس أو مرونتها أو جودتها ســـــــــواء الداخلية أو الخارجية احرصي على أن لا يكـــــون ذلك أمــام البــائع أو أحد الموجــودين في المحل وليكن ذلك في مكان منزو من المحل.

13- احرصي وأنت تدفعين النقـود للبـائع أن لا يظهر شـــيئًا من ذراعيك أو أن يظهر شيئًا من الزينة المكتسبة كالـذهب ونحـوه، ولا تناولي البائع النقود بيدك أو تأخذينها منه

بل ضيعها على طاولة الحساب ليأخـذها لئلا يمس يدم فإن ذلك أدعى للحشمة والحياء.

14- احــذري من أن يظهر صــوتك عاليًا وأنت تسيرين مع زميلتك أو وأنت تتفقــدين الســلع معها وليكن النقــاش والاستشــارة بينكما بصـوت خـافت لا يُسـمع، وكـذلك لا تسألي عن سلعة وأنت خارج المحل بصوت عالٍ يسمع من بعيد.

15- عند الجلـــوس في أمـــاكن الراحة والانتظـــــار حــــاولي أن تجلسي جلسة محتشــمة وتفقــدي نفسك لئلا يظهر شــيئًا من جســـمك كســـاقيك مثلاً أو أن يظهر تقاطيع جسدك من الخلف ونحو ذلك.

16- لا تقيسي شـــــيئًا من الحلي على يــديك وذراعيك أمــام البــائع مباشــرة ولا تجعليه هو الـذي يقيس عليك ذلك واحـذري من ذلك أشد الحذر.

17- عند النزول من السيارة أو الركـوب فيها احرصي على أن لا يظهر شـــــيئًا من جســـمك كســاقيك مثلاً أمـــام الرجـــال المتواجــــدين في الســـوق وليكن ركوبك ونزولك برفق وحذر.

18- تأكدي أن البائع الموجود في المحل

رجل كسائر الرجال يجب التحجب عنه والحذر منه مهما كانت جنسيته ولا تكوني كضعيفات العقل والإيمان اللاتي إذا كان البائع من غير أبناء هذه البلاد تساهلن في حجابهن معه وتكشفن له وكأنه ليس برجل كسائر الرجال.

19- عند رغبتك في رؤية ما تريدين شراءه فلا ترفعي غطاء وجهك لتنظري إليه أمام البائع، ولكن اطلبي من البائع الابتعاد أو خذي ما تريدين رؤيته إلى زاوية من زوايا المحل وانظري إليه حيث لا يراك أحد، وكذلك لا تقيسي الحذاء أمام البائع ومن في المحل لئلا يظهر شيء من قدميك وساقيك أمامهما.

20- إذا لم يكن معك أحد محارمك وحصل لك موقف مشين أو رأيت أو سمعت تصرفات حقيرة أو حصل اعتداء عليك سواء من الباعة أو من غيرهم فلا تترددي في إبلاغ رجال الهيئة أو الاستنجاد بمن حولك، ولا تسكني عن ذلك خجلاً أو خوفًا فإن ذلك خطأ وفيه إثم عليك بسكوتك عنه ولأن السكوت على مثل ذلك يُجرئ الفساق عليك أكثر ويجرؤهم

أيضًـــا على التمـــادي في إيـــذاء نســـاء المسلمين والتعدي عليهن.

21- الأسواق أبغض البقـاع إلى الله لأنها أمـــاكن تعج بـــالفتن وتمـــوج بـــالمحن، والشــيطان ناصب رايته فيهــا، فكلما كــان ذهابك إليها أقل كان ذلك لك أفضل ولدينك وعفتك أحفـظ، فقللي من الــذهاب إليها إلا لحاجة ضرورية لابد منها، ولا تظني أن كثرة الــذهاب إليها مــيزة حســنة أو أنها مفخــرة للمـــرأة كما تظنه بعض الجـــاهلات الـــتي تفاخر بأنها ذهبت للسوق الفلاني واشــترت من المحل الفلاني، وأنها تــذهب بالأســواق مرات عديدة، فـإن ذلك إن دل على شــيء فإنما يدل على جهل مثل هذه المــرأة وقلة حيائهــــــا، فالســــــعيدة والله من هي عن الأسواق بعيدة.

22- الكف والقدم هما جزء من جسمك، فاحرصي على ســترهما جيــدًا لأنهما عرضة للنظر إليهما والافتتــــان بهمــــا، وإذا كنت مــأمورة بتغطيتهما حــتى وأنت في الصــلاة حيث لا يراك أحد فمن بــاب أولى تغطيتهما وأنت خارجة إلى ألأسواق ومجامع الرجـال؛ خاصة وأنه مع الحركة قد لا يظهر القـــــدم

فحسب بل ربما يظهر جـــزء من الســـاق، وكـــذلك الكفـــان فإنه مع الحركة والمشي وتفقد الســـلع أو عند دفع النقـــود تنكشف الذراعين معهما كما هو مشاهد كثيرًا؛ وهـذا مما يلفت النظر ويثـير الفتنة ويـوجب الإثم فاحرصي بارك الله فيك على سـتر قـدميك بجــوارب «شــراب»، وكــذلك ســتر كفيك بقفـــازات أو بعبـــاءة ذات أكمـــام طويلة ســـاترة، ولا أظن أن تغطيتهما يتعبك أو أنه يعيق حركتهما.

23- تجنـــبي لبس العبـــاءة الـــتي على الكتف أو الكـــاب أو العبـــاءة الفرنســـية «الســـمكة»، أو ما شـــابه ذلك مما يُظهر تقـاطيع الجسم ويحـدد المفـاتن، فـإن هـذا نوع من التبرج والسفور المحرَّم، واحرصي على لبس العباءة السـاترة الـتي تغطي كل جسمك من رأسك حتى قدميك.

24- بعض النســاء قد تــذهب معها ابنتها إلى الســوق أو إلى أمـاكن أخـرى فتتحجب هي وتغطي وجهها وجســـــمها ولكن ابنتها كاشــفة ســافرة بل ربما ألبســتها بنطلونًا يحجم جسـمها ويـبرز مفاتنهـا، وهي ليست صـــغيرة كما تظن أمهـــا، فهي قد تكـــون

صـــغيرة في السن لكن صـــحتها جيـــدة وجســـمها ملفت للنظر مما يجعل الأنظـــار تلاحقها أينما اتجهت، وهـــذا من الخطأ في التربية والتنشـــئة على الســـتر والحشـــمة، فاحــذري أخــتي المســلمة حفظك الله من الوقــوع بمثل هــذا الأمــر، واعلمي أن البنت إذا كانت صحتها جيدة وطولها كــذلك فيجب أن تُحجب وتُــربى على الحشــمة والســتر حــتى ولو كــان عمرها صــغيرًا، ولا تُــترك عرضة للنظـــــرات الجائعة والســــهام المسمومة.

25- إذا كــان معك في الســوق زوجك أو أحد محارمك فــاتركي الكلام والمفاهمة مع البائعين له وحده ولا تتكلمي أنت مع البــائع بوجــوده معــك، إن لم تكن ذلك حيــاءً منك في مخاطبة الرجــال، فليكن احترامًا للرجل الذي معك وتأدبًا معه.

26- احـــذري الإســـراف والتبـــذير؛ فلا تكـــثري من شـــراء الملابس الـــتي قد لا تحتاجينها إلا مرة واحدة في السنة لكثرتهــا، ولكن اشـــــتري قـــدر حاجتك فقط وحاجة أبنائك فإني أخشى أن يأتي اليــوم الــذي قد لا تجــدين فيه ما تســترين به جســمك، فــإن

النعم لها شكر والإسراف والتبذير ليس من شـكرها والله تعـالى يقـول: ﴿وَإِذْ تَـأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَـكَرْتُمْ لَأَزِيـدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَـذَابِي لَشَـدِيدٌ﴾. وكما قيـل: «بالشكر تدوم النعم».

27- احرصي على شـراء الملابس السـاترة لك ولأبنائك وابتعـدي عن الملابس القصـيرة وشـبه العارية الملفتة للنظر البعيدة عن الحشمة والحياء، وكذلك تجنـبي الملابس الـتي فيها صـور أو كتابـات بذيئة مسـتهجنة فـأنت امـرأة مسـلمة مـأمورة بلزوم السـتر والحشـمة في اللبـاس والبعد عما ينـافي ذلك مما هو منهي عنه شـرعًا وعرفًا.

28- تذكري أن غالب الانحـراف تبـدأ من الأسواق فاحذري الزلل والانـزلاق من خلف ابتسـامة صـفراء كاذبـة، أو كلمة خادعة أو سكوت عن أمر مهين؛ طمعاً في دريهمـات قليلة يخفضها لك صـاحب المحل أو يتنـازل عنها مقابل شـيء ثمين يناله منك مما لا يقدر بثمن، فاحذري كل الحـذر أن تخـرجي بدينك وعفافك وحيائك وترجعين وقد سقط الحياء وثُلمَ الدين ودُنس العفـاف؛ فكم من

امرأة لُوِّث عرضها ودنس شرفها والسبب كان الأسواق فتنبهي لذلك واحتاطي لنفسك واعلمي أنك كلما بعدت عن الأسواق أمنت شرها وتجاوزت خطرها وسلمت من فتنتها.

وأخيرًا أختي المسلمة:

هذه الكلمات والتنبيهات التي أشرت إليها ما كتبتها والله إلا نصحًا لك وإشفاقًا عليك لئلا تتساهلي بشيء منها وتستهيني بها فتعرضي نفسك لسخط الله وعقابه، ومقته وازدرائه، أو أن يكون تلبسك بشيء منها سبب للتحرش بك أو التعدي عليك بكلام أو فعل من قبل ضعاف النفوس الذين قد يغريهم الشيطان ويشجعهم على ذلك عندما يرونك وحدك أو يرونك لم تلتزمي بحجابك كاملاً؛ فالمرأة تخرج من بيتها إلى الأسواق بدينها وعفافها وحيائها ولا تعرف حين ترجع ماذا سقط منه وماذا بقي فيه؛ لأنها تخرج إلى مكان يعج بالفتن ويموج بالمحن، والشيطان ناصب رايته فيه وشياطين الإنس يحومون حوله، فكم من امرأة لوث عرضها ودنس شرفها ودخلت وهي عفيفة وخرجت وهي كما قال ﷺ:

«**زانية**»؛ إما بالفرج أو بالعين أو بـالتعطر، وكم تَحَمَّلتْ أيضًـا من الآثـام سـواءً آثامها هي بسـبب تسـاهلها في حجابها ولباسـها وكشف ما أمرها الله بسـتره، أو آثـام من نظر إليها حيث تسببت لهم بذلك، فـالتزمي يا أخية بما قـرأت واحرصي على تطبيقها والعمل بها تخرجين من السـوق بلا خسـائر ولا ذنـوب؛ فـإن الخسـارة ليست كما يظنها بعض النـاس في المـال فقـط؛ بل إن الخسـارة الحقيقية هي خسـارة الـدين والعرض التي إذا خسرتهما المرأة خسـرت كل شيء، وبهذا تفـوزين وتسـعدين بـدنياك وأخراك، وتحققين معنى إسـلامك وإيمانـك، وتبرهـنين على صـدق انتمائك لـدينك واعتزازك بحجابك.

حفظك الله ورعـاك ومن كل مكـروه حماك.

* * * *